لغز الغابة الملعونة



محمود سالم

لغز الغابة الملعونة

تأليف
محمود سالم



لغز الغابة الملعونة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٦٨ ١

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

وجه في الظلام

كانت هذه هي الليلة الثالثة التي يقضيها الأصدقاء على شاطئ «بلطيم» في العشة الصغيرة التي يملكها الدكتور «أدهم» عم «محب» و«نوسة».

كانت العشة مُكوَّنةً من دورَين ومبنية بالخشب والبوص، وتقع في آخر صف العشش الطويل على الشاطئ، حيث كان الدكتور يُحب أن يخلو إلى نفسه وأبحاثه على النظائر المشعة.

ولم تكن الليلة الثالثة مثل الليلتَين السابقتَين؛ فقد سافر الدكتور «أدهم» فجأةً في صباح اليوم الثالث إلى القاهرة، ومنها إلى «النمسا» حيث يحضر مؤتمرًا للأبحاث الذرية، وهكذا وجد الأصدقاء أنفسهم في العشة البعيدة وحدهم ومعهم «زنجر»، والشغَّالة الريفية «محبوبة» التي كانت تقوم على خدمتهم وإعداد الطعام لهم.

وقد قسم الأصدقاء أنفسهم للنوم في الدورَين؛ فكانت «نوسة» و«محب» ينامان في الدور الأول في الغرفة التي كان ينام فيها عمهما، وبجوارهما غرفة الأبحاث التي كان يحتفظ فيها الدكتور بأوراقه وأبحاثه.

وفي الدور الثاني يشغل «تختخ» غرفةً وحده، و«عاطف» و«لوزة» غرفةً أخرى.

في تلك الليلة عادت «نوسة» من جولتها مع «زنجر» على الشاطئ، وكان الكلب الأسود يُحب تلك الرحلات في المساء؛ حيث كان يُطارد أسراب «أبو جلمبو» التي تظهر على الشاطئ قرب غروب الشمس، وكانت «نوسة» تأخذه أحيانًا على تلال الرمال، وهناك كان يستمتع أكثر بمطاردة الفيران الجبلية محاولًا دون جدوى أن يُمسك واحدًا منها.

قالت «نوسة» وهي تدخل: يبدو أن عاصفةً سوف تهب هذه الليلة؛ فقد بدأت الريح تنشط فجأة، وارتفعت الأمواج.

قال «تختخ»: لقد أحسسنا بهذا ونحن في الداخل؛ فهذه العشة الخشبية لا تُخفي شيئًا.

ثم عاد إلى دور الشطرنج الذي يلعبه هو و«محب» قائلًا: كش ملك. التفَّ «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» حول الصديقَين عندما سمعوا هذه الجملة؛ فقد كان هذا يعني أن الدور قد أصبح حاميًا.

أخذ «محب» يُفكِّر بعمق أمام المأزق الذي وضعه فيه «تختخ»، ثم قال وهو يهز رأسه مبتسمًا: لا فائدة؛ لقد مات الملك.

نظرت «لوزة» خلال زجاج النافذة إلى البحر وقالت: إن الإنسان يشعر بالوحدة في هذا المكان، مصيف «بلطيم» بعيد عن المدن وليس كمصيف «الإسكندرية» أو «بورسعيد» أو «رأس البر»، وفي هذا الوقت من السنة ونحن في أوائل سبتمبر يبدو مهجورًا برغم جماله.

محب: وقد جاء سفر عمي فجأةً فزاد من شعورنا بالوحدة.

تختخ: على العكس، إنني أحب مصيف «بلطيم» جدًّا؛ فهو شديد الهدوء، ويتميَّز بنظافة رماله، وهذه الجبال الرملية الشاهقة حيث تنبت أزهار النرجس وثمار البطيخ والشمَّام، وفي هذا الوقت تأتي أسراب السمَّان المهاجرة، ولعلكم لم تنسوا بعد هذا الغداء الفاخر الذي أعدته «محبوبة» من السمَّان المحشي بالأرز.

كان «زنجر» يجلس بجوارهم يستمع، وقد أخذ يتثاءب حتى لفت نظرهم، فقالت «لوزة»: إن «زنجر» قد كبس عليه النوم مبكرًا هذه الليلة.

عاطف: وأنا أيضًا.

محب: هيا بنا إذن ننام حتى نتمكَّن من الاستيقاظ مبكرين؛ فسوف نذهب غدًا في رحلة على الحمير إلى مزارع البطيخ كما اتفقنا.

وهكذا تبادل الجميع تحية المساء، ثم اتجه كلٌّ إلى فراشه، فصعد «تختخ» و«لوزة» و«عاطف» إلى فوق، في حين بقي «محب» و«نوسة» في الغرفة السفلى بجوار مكتب الدكتور «أدهم».

كان فراش «نوسة» أمام النافذة، حيث كانت تستطيع من مرقدها أن ترى خلال الزجاج التلال الرملية وضوء القمر عليها يبعث فوقها ضوءًا فضيًّا جميلًا، في حين تبدو الحفر التي بها كأنها أفواه سوداء كبيرة. وظلت «نوسة» تتأمَّل التلال حتى بدأت تستسلم للنوم، ثم أحسَّت بحركة خارج النافذة، حركة ضئيلة جدًّا، ولكنها كانت — في هذا الهدوء الشامل — كافيةً لإيقاظها، ففتحت عينيها بين اليقظة والمنام، فوقع بصرها على وجه ينظر إليها خلال النافذة، ثم اختفى فجأة!

فتحت «نوسة» عينيها ثم جلست في فراشها وهي غير مصدقة … هل كان وجهًا ما رأته في الظلام الخفيف؟! أم أن ذلك كان مجرَّد خيال؟! وهل سمعت صوت حركة خارج الفيلا أم أنها تصوَّرت هذا فقط؟! ظلت لحظات تستمع وتنتظر دون أن يحدث شيء آخر … لا صوت ولا حركة … فتأكدت أنها كانت تحلم … وسحبت الغطاء عليها، ثم عاودت النوم.

عندما استيقظ الأصدقاء الخمسة في اليوم التالي … اتضح لهم أن شيئًا خطيرًا قد حدث وهم نائمون … فقد وجدوا غرفة الأبحاث التي يعمل بها الدكتور «أدهم» في فوضى شاملة … تناثرت فيها الأوراق على الأرض، وفُتحت أبواب الدواليب والمكتب … وبدا واضحًا أن شخصًا — أو أشخاصًا — قد دخلوا ليلًا إلى العشة، وكانوا يبحثون عن شيء هام بين هذه الأوراق … فهل عثروا عليه وأخذوه أم لا؟

هذا سؤال لم يكن في إمكان المغامرين الخمسة أن يُجيبوا عنه … فهم لم يكونوا يعرفون ماذا تحوي غرفة الأبحاث من أوراق ومذكِّرات وغيرها … ولم يكن في إمكان أحدٍ أن يعرف إلا الدكتور «أدهم» ذاته … وهو بعيد عنهم بآلاف الأميال هناك في النمسا … لا يدري ماذا جرى في العشة.

وقف «تختخ» بين الأصدقاء يبحث عن أي أثر في الغرفة الصغيرة يدلُّ على من دخلها … ولكن لم يكن هناك أي شيء … وفجأةً تذكَّرت «نوسة» ذلك الوجه الذي رأته في الظلام فقالت في عجلة: لقد دخل بعض الأشخاص إلى العشة ونحن نائمون … فقد أحسست بحركة أمس أيقظتني من النوم … وشاهدت وجهًا ينظر إلينا من زجاج النافذة … لقد خُيِّل إليَّ ساعتها أنني أحلم … ولكن من الواضح أنني لم أكن أحلم …

قام الأصدقاء بفحص باب العشة ونوافذها فاتضح لهم أنها مغلقة من الداخل كما تركوها، فكيف دخل اللص أو اللصوص إلى العشة؟! سؤال لم يكن من الممكن الإجابة عنه … وهكذا قال «تختخ»: ليس أمامنا إلا إبلاغ الشرطة … فلا بد أن الأبحاث التي يعمل فيها الدكتور «أدهم» ذات أهمية كبيرة … وهناك من يسعى للحصول عليها، وقد انتهز فرصة غيابه ليسرقها.

لوزة: ولكن المدهش أن «زنجر» الذي كان نائمًا في الصالة لم يسمع هؤلاء اللصوص وهم يدخلون، ويقومون بكل هذا دون أن يتحرَّك! … أين هو؟

وتلفَّت الأصدقاء حولهم، ولكنهم لم يجدوا «زنجر»، فأسرعوا إلى الصالة، وكم كانت دهشتهم أن وجدوا الكلب الأسود النشيط مستغرقًا في النوم، وصوت تنفُّسه ثقيل، كأنه لم ينم منذ أيام!

تقدَّمت «لوزة» من الكلب … وأخذت تهزُّه، ولكنه لم يتحرَّك، فهزَّته بشدة ونادت عليه، فتح عينَيه في كسل ثم أغلقهما وعاد إلى نومه.

مدَّ «تختخ» يده ورفع جفن الكلب، ثم تركه يعود إلى مكانه، وقال: من الواضح أن «زنجر» قد أكل أو شرب منوِّمًا ثقيلًا حتى يظل للآن نائمًا.

محب: هل تقصد أن اللص أو اللصوص دسُّوا له شيئًا أكله قبل أن يحاولوا دخول العشة؟

تختخ: لا شك في ذلك، فلم يكن في استطاعتهم دخول العشة والكلب في حالته الطبيعية وإلَّا لأيقظنا بنباحه … أو هجم عليهم، ف «زنجر» كلب حراسة ممتاز لا يمكن أن يُهمل في تأدية واجبه.

نوسة: معنى ذلك أننا أمام عصابة منظَّمة، وسرقة مدبَّرة، وليست مجرَّد سرقة عادية.

تختخ: طبعًا، فاللص العادي لا يمكن أن يسرق أوراقًا فيها أبحاث لا يفهمها ولا يُهمُّه ما فيها.

لوزة: السؤال المهم … هو من دس العقار ﻟ «زنجر»؟ … من غير الممكن أن يكونوا قد دخلوا ثم وضعوا له العقار في الطعام.

محب: في الغالب إنهم وضعوا العقار في قطعة لحم وألقوها حول العشة أو في الطريق الذي يسلكه «زنجر» و«نوسة» … كل مساء في نزهتهما.

نوسة: طبعًا، فهذه خطة محكمة … وخاصة أننا لا نعرف حتى الآن كيف دخلوا العشة برغم أن الباب والنوافذ مغلقة من الداخل.

لوزة: لا يبقى إلَّا أن يكون أحد منا هو الذي فتحه … ولمَّا كان ذلك غير معقول مطلقًا … فلم يبقَ إلا الشغَّالة «محبوبة» هي التي فتحت الباب للصوص، ثم أغلقته بعد أن أتموا مهمتهم.

تختخ: هذا هو الحل الوحيد، وليس أمامنا إلَّا إبلاغ الشرطة! ثم قام إلى التليفون للاتصال بنقطة الشرطة في المصيف.

«نوسة» و«زنجز»!

بعد أن قام «تختخ» بإبلاغ نقطة الشرطة في المصيف بما حدث، خرج مع الأصدقاء يدورون حول العشة لعلهم يعثرون على آثار اللص أو اللصوص الذين دخلوا العشة ليلًا وعبثوا بأوراق الدكتور «أدهم». كانت الرمال حول العشة ناعمةً وكثيفةً تغوص فيها الأقدام حتى تصبح كل الآثار متشابهة ... فهي عبارة عن فتحات صغيرة غائصة في الرمال لا يتبيَّن الفاحص منها أي فارق بين واحدة وأخرى ... كل ما استطاعوا رؤيته هو عدد كبير من الآثار المطموسة بجوار نافذة غرفة «نوسة»، وكذلك عند نافذة المطبخ التي وُجدت مفتوحة.

قال «محب» وهو ينظر إلى نافذة المطبخ الضيِّقة: هل يمكن أن يدخل لص منها؟ إن هذا يبدو مستحيلًا؛ فهي ضيِّقة جدًّا لا تتسع لدخول شخص.

عاطف: فعلًا، هذا مستحيل ... ولكن كيف دخل اللصوص إلى المنزل؟!

تختخ: هذا هو اللغز ... كيف تمكَّنوا من الدخول والباب مغلق ... وهذه النافذة ضيقة؟

ولم يمضِ الأصدقاء طويلًا في الحديث، فقد حضر ضابط الشرطة «زكي» ومعه بعض مساعديه، وأخذوا يفحصون آثار اللصوص ... والأوراق المبعثرة، ثم قال الضابط متضايقًا: من الواضح أن اللص أو اللصوص لم يتركوا أي آثار تدل عليهم ... وهذه الرمال لا تؤدي أي غرض، خاصةً وأن عاصفةً هبَّت أمس ليلًا، طمست ما يمكن الاستدلال عليه من آثار.

تختخ: هذا صحيح، فقد فحصنا كل شيء بأنفسنا.

الضابط: أنتم؟

تختخ: نعم، فنحن من هواة حل الألغاز البوليسية، ونعرف طرق العثور على الآثار والبصمات، والاستنتاجات، وغيرها من أعمال الشرطة.

ابتسم الضابط قائلًا: هذا شيء مدهش! وبهذه المناسبة هل عرفتم بالضبط الأشياء التي سرقها اللصوص؟

تختخ: الحقيقة إننا لا نستطيع تحديد ماذا أخذ اللصوص.

الضابط: أعلم أن الدكتور «أدهم» يقوم ببعض الأبحاث عن النظائر المشعة، ولكن من الذي يفكِّر في سرقة أبحاث عن هذا النوع؟

تختخ: إنني لم أُكوِّن رأيًا بعد.

الضابط: على كل حال ليس أمامنا إلا تحرير محضر بما حدث، ثم ننتظر بقية الأحداث، وإنني أنصحكم بأن تغادروا هذا المكان في أقرب فرصة وتأخذوا معكم كل الأوراق الخاصة بالدكتور «أدهم»؛ فقد تتعرَّضون لحادث أخطر من مجرد السرقة.

ثم قام الضابط بتحرير المحضر اللازم واستجوب «محبوبة» التي أنكرت أي صلة بهذا الحادث، وأخذت تبكي وتقول: أنا لا يمكن أن أخون الدكتور «أدهم»؛ فأنا أعمل عنده منذ خمس سنوات، وكان دائم العطف عليَّ … كيف تتصوَّرون أني أشترك في سرقته؟!

ولم يجد الضابط شيئًا آخر يُفيده، فكرَّر نصيحته للأصدقاء ثم انصرف.

قال «تختخ»: ليس أمامنا شيء يمكن عمله، فلنذهب إلى شاطئ البحر لنقضي وقتًا طيبًا، ثم نعود في المساء ونعقد اجتماعًا لمناقشة نصيحة الضابط لنا بالرحيل من هذا المكان.

وافق الأصدقاء جميعًا على رأي «تختخ»، وارتدوا ثياب البحر ثم أيقظوا «زنجر» الذي كان ما يزال نائمًا، وانطلقوا إلى الشاطئ … كان هناك قارب الدكتور «أدهم» الذي أطلق عليه اسم «نوسة»، وكانت «نوسة» تعتز بهذه التسمية للقارب الذي أسرعت إليه.

انهمك الأصدقاء في اللعب والجري والعوم، وبعد قليل حضرت «ناعسة»، وهي فتاة صغيرة فقيرة اعتادت التردُّد على الأصدقاء وبيع البطيخ والشمَّام والسمَّان لهم، وكانت تحمل على رأسها طبقًا كبيرًا من الخوص تضع فيه بضاعتها القليلة، ثم جلست على الشاطئ تراقبهم في انتظار خروجهم لتلعب معهم. وكانت «نوسة» قريبةً من الشاطئ، تحاول إيقاظ الكلب النائم بوضعه في الماء البارد، فكان يستيقظ ثم يعود إلى الرمال ويتمدَّد في الشمس … ولكن بعد عدة محاولات استطاعت أن توقظه تمامًا وتُزيل آثار المنوِّم الذي تناوله … فأخذ يجري وينبح، ويُحضر الكرة التي تقذفها له … واستعاد نشاطه تمامًا عندما جاء «تختخ» عائمًا قرب الشاطئ وأخذ يُلاعبه.

وقالت «ناعسة» لـ «تختخ»: هل تشترون شيئًا اليوم؟

تختخ: ماذا معك يا «ناعسة»؟

ناعسة: معي شمَّام مثل العسل في حلاوته.

نوسة: ولكنك تبيعينه غاليًا.

ناعسة: أنت دائمًا تفاصلين يا ست «نوسة»، ومع ذلك ادفعي ما تشائين في هذه الشمَّامة المعسلة.

وأمسكت «نوسة» بالشمَّامة وأخذت تُقرِّبها من أنفها لتستدل برائحتها على مدى نضجها ثم قالت: بثلاثة قروش.

ناعسة: وحياتك لا أبيعها أقل من خمسة.

نوسة: إن الشمَّام هنا صغير الحجم ورخيص، وهي لا تساوي إلا ثلاثة قروش فقط.

ناعسة: دعي الأستاذ «تختخ» يشتري؛ إنه أكثر كرمًا منك.

تختخ: لا بأس، سندفع لك أربعة قروش. ثم أحضر مطواةً صغيرةً من حقيبته وشق الشمَّامة، والتف حوله الأصدقاء كلٌّ يأخذ نصيبه، وقد ارتفع صياحهم ومرحهم ونسوا الحادث الذي وقع في الليل.

أمضى الأصدقاء ساعات مرحةً على الشاطئ، ثم عادوا لتناول الغداء الذي أعدته لهم «محبوبة» التي كانت ما زالت تبكي ... وأخذ الأصدقاء يُطيِّبون خاطرها ويُؤكِّدون لها ثقتهم فيها.

وفي المساء اجتمع الأصدقاء لمناقشة فكرة السفر في الصباح أو البقاء في العشة الأيام الباقية من الإجازة، فقالت «نوسة»: إني موافقة على السفر وسأخرج الآن للتنزُّه مع «زنجر» على جبل النرجس.

قال «تختخ»: لا تبتعدي يا «نوسة» فنحن لا نعرف ماذا سيحدث بعد هذه السرقة.

انقسم الأصدقاء الأربعة حول فكرة السفر؛ فقد كان من رأي «عاطف» و«تختخ» أن يُسافروا في الصباح عائدين إلى القاهرة، في حين كان من رأي «لوزة» و«محب» أن يبقوا لتكملة الإجازة وانتظار نتيجة التحريات التي سيقوم بها رجال الشرطة حول حادث السرقة ... وحتى يعرفوا لغز دخول اللصوص إلى العشة برغم بابها المغلق.

وطال النقاش فقال «تختخ»: إني أخشى أن يعود اللصوص للسرقة مرةً أخرى، وقد نتعرَّض للاعتداء علينا منهم ... وكذلك فقد وافقت «نوسة» على العودة، فنحن ثلاثة أصوات ضد صوتين، ونحن المغامرون الخمسة نُطبِّق الديمقراطية بيننا ... والديمقراطية هي رأي الأغلبية.

وهكذا اتفق الأصدقاء على الرحيل، وبدءوا يحزمون أمتعتهم للسفر في الصباح.

دخل «تختخ» و«محب» غرفة أبحاث الدكتور «أدهم»، ونظر «تختخ» إلى خزانة من الخشب القوي مغلقة، وكانت هي الوحيدة التي يبدوا أن اللصوص لم يستطيعوا فتحها.

قال «تختخ»: ماذا سنفعل في هذه الخزانة المغلقة؟ إننا لا نستطيع أن نحملها معبَّأة، ولا نستطيع أن نفتحها ما دامت المفاتيح ليست معنا.

محب: نستطيع أن ننقلها إلى قسم الشرطة، ونتركها هناك في حماية رجاله.

تختخ: هذا هو الحل الوحيد.

انتهى الأصدقاء من حزم حقائبهم وأوراق الدكتور «أدهم»، ثم أخذوا يتسلَّون أمام المنزل ببعض الألعاب والأحاديث في انتظار عودة «نوسة» و«زنجر»، ولكن الوقت مضى دون أن يظهرا.

تجاوزت الساعة التاسعة ليلًا دون أن يظهر أثر لـ «نوسة» أو «زنجر»، وأحسَّ الأصدقاء الأربعة بالقلق، فخرجوا جميعًا ينظرون هنا وهناك، ولكن لم يظهر لهما أثر.

قال «تختخ»: ادخلي يا «لوزة» أنت و«عاطف» العشة، وسوف أذهب إلى جبل النرجس مع «محب» للبحث عن «نوسة» و«زنجر» لعلهما يلعبان معًا هناك.

انطلق «تختخ» و«محب» في ضوء القمر الخفيف إلى جبل النرجس الذي كان يبعد عن العشة بمسافة طويلة، وكانت أقدامهما تغوص في الرمال ... وهما يُسرعان الخطو حتى إذا وصلا إلى قمة الجبل كانا قد تعبا وأخذا ينظران هنا وهناك ... ولكن لا «نوسة» ولا «زنجر» كان لهما مجرد خيال!

كانت السماء تجري فيها بعض السحب تُخفي القمر الصغير أحيانًا فيتحوَّل جبل النرجس إلى بقعة سوداء مخيفة ... ثم ينجلي السحاب ... ويعود ضوء القمر يتسلَّل إلى الجبل، ويبدو النخل الطويل وكأنه أشباح تهز رأسها في الريح.

أحسَّ «تختخ» بالقلق يعصف به ... أين ذهبت «نوسة» و«زنجر»؟ ... ماذا حدث لهما؟

قال «محب»: تعالَ نعُد إلى العشة، فلعلهما عادا.

ومرةً أخرى أسرع الصديقان عائدَين ... وكلٌّ منهما يتمنَّى أن يجد «نوسة» و«زنجر» قد عادا ... وعندما وصلا إلى الباب ... ودقه «تختخ»، فتحت «لوزة» وعلى وجهها ابتسامة كلها أمل ... فقد ظنت أن «نوسة» قد عادت ... فلمَّا رأت «تختخ» قالت: هل وجدتهما؟!

تختخ: لا!

لوزة: ماذا حدث؟ لماذا لم يعودا حتى الآن؟ ثم انهمرت الدموع على وجنتَيها ... وأسرعت تُخفي وجهها في صدر «تختخ».

جلس الأصدقاء الأربعة صامتين ... كلٌّ منهم يُفكِّر في «نوسة» و«زنجر» ويتخيَّل ما حدث لهما ... وكلما هزت الريح شيئًا في العشة وقف الجميع لعلهما يكونان قد عادا ... ولكن أحدًا لم يعد.

انقضت فترة طويلة من الليل ونامت «لوزة» وظل «تختخ» و«محب» و«عاطف» والشغَّالة «محبوبة» ساهرين، وقد أحسوا بالخوف، ثم قال «تختخ»: لم يعد أمامنا إلا الاتصال بالشرطة.

ثم قام إلى التليفون ... ولكنه عندما رفع السمَّاعة لم يجد حرارةً في الجهاز وأخذ يدق ... ويدق ... ولكن دون جدوى ... فقد ظل الجهاز صامتًا كأنه قطعة من الحجر!

نظر «تختخ» إلى الصديقَين ... ونظرا اليه ... وأحسَّ الجميع أن كارثةً قد وقعت ... وأنهم أمام حادث محيِّر مخيف!

إنذار في الليل

فجأة ... ارتفعت ثلاث دقَّات على الباب الخارجي للعشة ... وهبَّ الأصدقاء الثلاثة مسرعين ... وصاح «محب»: «نوسة» أختي ... لقد عادت! وكان هو أسرع الثلاثة إلى فتح الباب، ولكن «نوسة» لم تكن على الباب ... لقد كانت الفتاة «ناعسة» بثيابها الممزَّقة ووجهها الجميل الذي لوحته الشمس.

ودون كلمة واحدة، مدَّت يدها إلى «تختخ» بمظروف مغلق، ثم ارتدَّت لتعود، ولكن «تختخ» أمسكها من ذراعها وشدَّها إلى الداخل، وعبثًا حاولت «ناعسة» الفرار من قبضته القوية.

أغلق «تختخ» الباب وقال موجِّهًا كلامه إلى «محب»: أمسك هذه الفتاة ولا تتركها تغادر العشة قبل أن أرى ما هذا.

فتح «تختخ» المظروف فوجد بداخله خطابًا أخذ يقرؤه بصوت مرتفع:

> إننا نريد كراسة الأبحاث الأخيرة للدكتور «أدهم» ... إنها موضوعة في غلاف أحمر ... اعثروا عليها بأي طريقة فربما كانت في الدولاب المغلق، ثم ضعوها تحت الصخرة البيضاء فوق جبل النرجس في الساعة السادسة صباحًا.
>
> لقد أسرنا الفتاة والكلب، وسوف نطلق سراحهما عندما نحصل على الكراسة الحمراء، وإذا أبلغتم الشرطة فلن تروا الفتاة والكلب مرةً أخرى، سوف نراقب المنزل حتى نتأكَّد أن أحدًا منكم لن يُغادره لإبلاغ الشرطة، وقد قطعنا خط التليفون.

ليخرج واحد منكم ليضع الكراسة في المكان الذي حدَّدناه، وسوف تسمعون صيحة طائر البحر «النورس» منا، وهذا معناه أننا حصلنا على الكراسة، وفي هذه الحالة ستعود لكم الفتاة والكلب.

انتهت الرسالة، وأخذ «تختخ» ينظر إلى صديقَيه وإلى «ناعسة» في وجوم، وأعاد النظر مرةً أخرى إلى الرسالة، ولم يكن عليها أي إشارة تدل على مرسلها ... فالتفت إلى «ناعسة» التي كانت تنظر إليه في ذعر، وقال بصوت صارم كحد السيف: من الذي أعطاك هذه الرسالة؟!

لم تردَّ «ناعسة» فضغط «محب» على ذراعها صائحًا: انطقي فورًا ... من الذي أعطاك الرسالة؟! كانت «لوزة» قد استيقظت، وسمعت ما حدث، فاقتربت من «ناعسة» ووضعت يدها على ذراعها في رقة قائلة: «ناعسة» أرجوك ... قولي لنا من الذي أعطاك هذه الرسالة لتوصيلها لنا ... إنها مسألة حياة أو موت ... إن حياة «نوسة» في خطر.

تحدَّثت «ناعسة» ... قالت: إني لا أعرفه ... لقد قابلني قرب الكوخ الذي أسكن فيه مع خالي، أعطاني خمسة قروش وطلب مني توصيل هذه الرسالة لكم ... ومن الأفضل أن تتركوني أذهب؛ فليس عندي كلام آخر أقوله، وإذا تأخَّرت فسوف ينتقم من «نوسة» كما قال لي.

محب: صفيه لنا بدقة وإلا كسرت ذراعك.

ناعسة: لم أستطِع أن أتبيَّن ملامحه نظرًا لشدة الظلام. أرجوكم اتركوني أذهب لئلا تُصاب «نوسة» بسوء ... فقد هدَّدني لو تأخَّرت أن يؤذيها ... من أجل خاطرها هي اتركوني!

قال «تختخ» لـ «محب»: اتركها تذهب.

وأسرعت «ناعسة» إلى الباب جاريةً واختفت في الظلام.

وقف الأصدقاء الأربعة يتبادلون النظرات وقد أحسُّوا بالحزن والخوف يسيطران عليهم ... ماذا يفعلون؟!

قال «تختخ»: لا فائدة من إضاعة الوقت في الحزن ... يجب أن نتصرَّف فورًا.

عاطف: هل نكسر الدولاب ونُسلِّمهم الكراسة المطلوبة؟ إن في ذلك خيانة؛ فقد يكون فيها معلومات هامة للوطن.

محب: سوف نُعطيهم الكراسة الحمراء ... ولكن!

عاطف: ولكن ماذا؟

محب: ولكننا سننزع صفحاتها ونضع بدلها أوراقًا من التي تركوها مبعثرة ... أي نضع لهم أوراقًا ليست بذات أهمية ... يجب أن نكسب بعض الوقت للتصرُّف فلم يبقَ أمامنا وقت طويل. إننا نستطيع أن نخدعهم بأي غلاف أحمر وسوف يُضيِّعون بعض الوقت لاكتشاف حقيقته ... ونكون نحن قد اتصلنا بالشرطة، أو استطعنا متابعة هؤلاء اللصوص.

واندفع الأصدقاء إلى غرفة المكتبة للبحث عن غلاف أحمر، وعثرت «لوزة» على غلاف من هذا اللون، وأخذ «محب» يجمع بعض الأوراق المتناثرة ثم يُرتِّبها بشكل منظم، واستعمل الصمغ. وبعد نحو ساعة كانت هناك كراسة حمراء محترمة المظهر ... غلَّفها «محب» في ورق أبيض، وألصق ورق اللف بعناية وقال: هذه هي الكراسة جاهزة.

نظر «تختخ» بإعجاب إلى صديقه الذي بدا مستغرقًا في تفكير عميق، ثم قال «محب» فجأة: «تختخ»! لقد خطرت لي فكرة قد تكون مجديةً جدًّا لتعقُّب العصابة.

تختخ: ما هي هذه الفكرة؟

محب: إن الولد الذي يُحضر لنا اللبن يحضر في حوالي السادسة، وهو في مثل حجمي تقريبًا. ما رأيك إذا أبقيناه هنا ولبست أنا ملابسه واختفيت قرب جبل النرجس لأرقب الرجل الذي سيحضر لأخذ الكراسة، لعلي أعرفه ... أو أستطيع متابعته حتى نصل إلى مقر هذه العصابة التي تريد الاستيلاء على أبحاث عمي «أدهم»؟

تختخ: هذه فكرة ممتازة يا «محب» وسننفذها.

مضت الساعات بطيئة، والأصدقاء يجلسون في حوار متصل حول هذا الحادث العجيب الذي أضاع عليهم بهجة الإجازة، وعرَّض حياة «نوسة» و«زنجر» للخطر. وفي السادسة إلا ربعًا سمعوا صوت أقساط اللبن التي تدل على حضور بائع اللبن الصغير، ففتح له «تختخ» الباب، وطلب منه الدخول بسرعة.

دخل «يحيى» وهو لا يعرف ماذا يريد «تختخ» الذي قال له بسرعة: «يحيى» إننا في مأزق، ونريدك أن تساعدنا.

ردَّ «يحيى» الذي كان يُحب الأصدقاء: إنني على استعداد لأي مساعدة.

تختخ: إذن دون أسئلة ... اخلع ثيابك فورًا، والبس ثياب «محب» وادخل إلى المطبخ، وسوف ندفع لك ثمن اللبن الذي تحمله كله.

قال «يحيى» وهو يخلع ثيابه في دهشة: على كل حال ليس معي لبن كثير؛ فأنتم آخر عشة في المصيف، وقد انتهيت من توزيع اللبن على زبائني.

في دقائق كان «محب» يلبس ملابس «يحيى» المكونة من سروال أسود وقميص وصدار وقبعة من القماش وصندل، ثم حمل أقساط اللبن الفارغة وانطلق خارجًا بعد أن استمع إلى تعليمات «تختخ».

وبعد لحظات حمل «عاطف» لفَّة الكراسة الحمراء ومضى مسرعًا إلى جبل النرجس. كان الضباب يملأ الجو في هذه الساعة المبكرة، ولم يكن في استطاعة «عاطف» أن يرى ما أمامه، ولكنه كان يحفظ الطريق إلى جبل النرجس.

في تلك الأثناء كان «محب» المتنكر في ثياب بائع اللبن قد شق طريقه مسرعًا إلى جبل النرجس، واختار مكانًا تُغطِّيه شُجيرات النرجس الكثيفة، ثم اختفى فيه، وأخذ يرقب من بعيد القادم لأخذ الكراسة.

مضت دقائق قليلة، ثم شاهد «محب» شبح صديقه «عاطف» وهو يحضر ثم يضع اللفة التي بها الكراسة الحمراء وينصرف ... وبعد لحظات شاهد شبحًا آخر في الضباب الكثيف يحضر، ثم ينحني ويأخذ اللفة وينصرف، ثم سمع صوت طائر «النورس» الذي يعني أن اللفة قد وصلت، وأخذ يرقب الشبح وهو يهبط الجبل إلى الجانب الآخر، وكم كانت دهشته أن وجد سيارةً واقفة، ورأى الشبح وهو يُسلِّم اللفة إلى قائد السيارة الذي سرعان ما أدار المحرك، وانطلق مسرعًا!

أصبح «محب» والشبح وحيدَين، وخطر لـ «محب» خاطر قرَّر أن يُنفِّذه بسرعة، فأخذ يتقدَّم بحذر زاحفًا على الرمال حيث كان الشبح يقف تحت تلٍّ من الرمال يرقب السيارة وهي تبتعد ... اقترب «محب» كالثعبان دون أن يرفع رأسه حتى لا يراه الشبح، ثم جمع كل قوته، وقفز قفزةً واحدة، فسقط على الشبح ووقع الاثنان على الأرض في صراع رهيب.

دخل «محب» والشبح في عراك وكلٌّ منهما يُحاول أن يتغلَّب على الآخر ... ولكن المعركة لم تستمرَّ طويلًا ... فقد تغلَّب «محب» على الشبح!

اعترافات مثيرة

لم يكن الشبح سوى «ناعسة» الفتاة الصغيرة الفقيرة ... نفس الفتاة التي حملت إليهم إنذار العصابة ... أو الشخص المجهول الذي يُهمُّه الاستيلاء على أبحاث الدكتور «أدهم». وأمرها «محب» أن تمشي معه إلى العشة ولكنها رفضت، فجرَّها إلى هناك.

قال «محب» وأنفاسه تتسارع من المجهود الذي بذله: والآن لا بد أن تقولي لنا كل شيء ... أين «نوسة» و«زنجر»؟! من هم الأشخاص الذين اختطفوهما؟ ومن الذي أعطاك الخطاب؟ ... وكيف دخل اللصوص إلى العشة؟!

لم تردَّ «ناعسة»، بل ظلت واقفةً وقد امتلأت عيناها بالحيرة، فقال «محب» وهو يجذب ذراعها في قسوة: أجيبي فورًا، إن حياة أختي في خطر ... وسوف لا أتردَّد في عمل أي شيء لإنقاذها!

ظلت «ناعسة» متردِّدة، فقال «عاطف»: الأفضل أن نُسلِّمها لرجال الشرطة، إنهم سوف يتمكَّنون من استجوابها ...

لم تكد «ناعسة» تسمع كلمة الشرطة حتى انتابها ذعرٌ شديدٌ، وأخذت تحاول الهرب صائحة: لا تُسلِّموني للشرطة ... إنني لم أفعل شيئًا ... إنني مسكينة ... إن خالي هو السبب!

تختخ: خالك! ماذا فعل خالك؟

ناعسة: أرجوكم ... إنه إذا علم أنني قلت لكم فسوف يضربني ... وقد يقتلني ... إنه رجل قاسٍ وشرير ... إنني أعتقد أنه ليس خالي ... ولكني يتيمة وليس لي أم ولا أب ... وقد كبرت ووجدت نفسي معه ... وقال إنه خالي.

تختخ: قولي لنا ما تعرفين ... وسوف لا نُسلِّمك للشرطة، ولن نقول لخالك شيئًا.

ناعسة: سأروي لكم كل شيء ... ولكنني جائعة ... أريد شيئًا آكله.

قامت «محبوبة» بإعداد بعض الطعام لها، فانقضَّت عليه تأكله في نهمٍ شديد، ثم قالت: سأروي لكم كل شيء من أول يوم ... لقد أعطاني خالي قطعة لحم، وطلب مني أن أضعها في طريق «زنجر» ليأكلها ... ولم أكن أعرف ماذا فيها ... وهكذا حضرت قرب العشة، وانتظرت خروج «نوسة» ومعها «زنجر» ثم وضعت قطعة اللحم في طريقه وجريت ...

وسكتت «ناعسة» وهي تلتهم طعامها، ثم مضت تقول: وفي هذه الليلة حضر شخص لا أعرفه إلى خالي. إنه يلبس ملابس أنيقةً مثلكم ويركب سيارة، وطلب مني خالي أن آتي معهما إلى عشتكم — وحضرنا بعد أن نمتم — وأخذ خالي ينظر خلال زجاج النوافذ ليتأكَّد من نومكم جميعًا.

قال «عاطف» معلِّقًا: إن وجهه هو الذي شاهدته «نوسة» في تلك الليلة وظنناها تحلم!

ناعسة: وعندما اطمأنا إلى نومكم جميعًا، أخذاني إلى نافذة المطبخ التي تتركونها مفتوحة دائمًا، واستطعت أن أدخل منها وأفتح لهما الباب.

لوزة: شيء غريب ... كيف تستطيعين الدخول من هذه النافذة الصغيرة.

ناعسة: إنني أستطيع الدخول من أضيق ثقب؛ فمنذ كنت طفلةً صغيرةً وأنا معروفة بأن مفاصلي مرنة، وأستطيع القيام بألعاب صعبة كما يفعلون في السيرك.

تختخ: المهم ... ماذا حدث بعد ذلك؟

ناعسة: دخلت وفتحت لهما الباب ودخلا، وأخذ هذا الأفندي الذي كان خالي يناديه باسم «موسى بك» يُقلِّب في الأوراق التي في مكتب الدكتور «أدهم» باحثًا عن شيء لا أعرفه ... ولكن يبدو أنه لم يجده لأنه كان متضايقًا جدًّا ... ثم حاولا فتح الدولاب المغلق، ولكن الباب الخشبي السميك لم يكن من الممكن فتحه إلا إذا كُسر، وخافا أن تستيقظوا فخرجا، وقمت بإغلاق الباب ثم قفزت من النافذة مرةً أخرى، وعدنا إلى الكوخ حيث جلسا يتناقشان فترة، واتفقا على خطف «نوسة» بعد أن أخبرتهما أنها تتنزَّه كل يوم في المساء مع «زنجر».

تختخ: وكيف خطفا «نوسة» و«زنجر»؟

ناعسة: لقد ألقيا عليهما بكيسَين من القماش السميك ثم ألقياهما في السيارة التي انطلقت بهما بعيدًا.

تختخ: أين ذهبا بهما؟

عادت «ناعسة» إلى التردُّد مرةً أخرى ... فقال «تختخ»: أجيبي بسرعة، فكل دقيقة لها قيمتها ...

ناعسة: لقد سمعت «موسى بك» يقول إنه سيأخذهما معه إلى «برج البرلس».

تختخ: «برج البرلس»! هذه القرية الصغيرة التي يسكنها الصيادون؟

ناعسة: نعم … إن القرية شبه جزيرة يفصلها من البر الغربي البوغاز … ولا أحد يعرف ما في البر الغربي … إنه موحش … وبه قلعة قديمة غمرتها المياه … وقد سمعت من خالي أن هناك أشخاصًا يتردَّدون أحيانًا على هذه القلعة، وأنه يقوم بخدمتهم عن طريق «موسى» ولكن لا أدري أي نوع من الخدمة.

تختخ: وكيف نصل إلى «برج البرلس» بأسرع ما يمكن؟

ناعسة: هناك طريقان … الطريق البري عبر الرمال … وطريق البحر … ومن الأفضل أن نذهب عن طريق البحر … وهناك عشة يملكها «موسى» ويقضي بها بعض الوقت، ولعله يكون قد نقل «نوسة» و«زنجر» إلى هناك.

تختخ: هيا بنا فورًا … وسنستقل القارب وسوف تأتين معنا.

ناعسة: لا أستطيع … فقد يراني خالي، فقد خرج للصيد في البحر وقد نلتقي به في الطريق!

تختخ: ولكننا لا نستطيع أن نذهب وحدنا … فسوف نضل الطريق …

لوزة: في إمكاننا أن نعطي «ناعسة» بعض ملابس «نوسة»، إنهما متماثلتان في الحجم تقريبًا، ولن يعرف أحد — خاصةً من بعيد — أن هذه الفتاة هي «ناعسة».

تختخ: معقول جدًّا.

وأسرعت «ناعسة» مع «لوزة» إلى الداخل، وكان «محب» قد خلع ثياب بائع اللبن، وأعطاها له فخرج الولد بعد أن أخذ عشرة قروش، وهو لا يعرف سر ما حدث؛ فقد أبقاه الأصدقاء في الدور الثاني حتى لا يعرف ما يجري.

مضت ربع ساعة تقريبًا، قامت فيها «ناعسة» بالاستحمام وتغيير ثيابها، ثم عادت وهي تلبس ملابس «نوسة» فكان الأصدقاء أنفسهم لا يعرفونها؛ فقد تبدَّلت الفتاة الممزقة الثياب غير النظيفة إلى فتاة أخرى، خاصةً وقد لبست حذاءً من الكاوتش الأبيض فبدت غايةً في الأناقة.

بدأ الأصدقاء يستعدُّون للخروج فقال «تختخ» لـ «لوزة»: أقترح يا «لوزة» أن تبقي أنت هنا؛ فقد تحدث تطوُّرات في غيابنا أو يتصل بنا رجال الشرطة.

قالت «لوزة» وهي تكاد تبكي: إنني لا أحب الانتظار هنا وحدي … في حين أنتم تقومون بالعمل لإنقاذ «نوسة»!

تختخ: إن دورك هنا لا يقل أهميةً عن دورنا هناك، وقد يحدث لنا شيء، فإذا تأخَّرنا فعليك بالاتصال برجال الشرطة.

اضطُرت «لوزة» إلى البقاء في العشة، بينما انطلق «تختخ» و«محب» و«عاطف» و«ناعسة» إلى القارب.

كانت «ناعسة» تشعر أنها قد تبدَّلت تمامًا ... وأصبحت الحياة في نظرها أكثر جمالًا، فقالت لـ «تختخ»: إذا أنقذتم «نوسة» هل تتركون هذه الثياب لي؟

تختخ: أكثر من هذا ... إذا وافقت على الحضور معنا إلى القاهرة؛ فسوف نأخذك لتعيشي معنا هناك ... ما دام خالك القاسي يعاملك بهذه الطريقة، خاصةً وأننا إذا نجحنا؛ فسوف يقبض عليه رجال الشرطة ويدخل السجن.

ناعسة: سوف أساعدكم بقدر ما أستطيع ... ولقد أصبحت أشعر أنني منكم.

وقفز الجميع إلى القارب، ورفعوا الشراع، وانطلق بهم يشق الأمواج مسرعًا في اتجاه «برج البرلس».

حاول الأصدقاء قدر الإمكان ألَّا يبتعدوا عن الشاطئ، حتى لا يلتقوا بقارب خال «ناعسة» الذي قد يشك فيهم إذا رآهم، واستطاعوا فعلًا أن يتجنَّبوا الالتقاء بأحد في البحر.

مضت ساعة والقارب يقطع الطريق إلى «برج البرلس»، وكانت القرية تبدو لهم من بعيد وكأنها عالم مجهول مملوء بالمغامرة والإثارة.

أخيرًا ... رسا القارب بالقرب من البوغاز الذي يربط البحر المتوسط ببحيرة «البرلس» ... ونزل الأصدقاء إلى الشاطئ، وقال «تختخ» يسأل «ناعسة»: هل تعرفين أين تقع عشة «موسى»؟

ناعسة: ليس في هذه القرية عشش للمصيف سوى هذه العشة، وسوف نسأل ونعرف.

والتقى الأصدقاء ببعض أولاد الصيادين ... وهم يصطادون السمك بالسنانير، فوقفوا معهم يتحدَّثون ... ثم سألوهم عن مكان عشة «موسى بك»، فقال الأطفال جميعًا إنهم يعرفونها، وتقدَّم أحدهم ليدلهم على مكانها ثم تقدَّمهم على شاطئ البحيرة حيث اصطفت قوارب الصيد، وجلس الصيادون يرتقبون شباكهم ... وقال الصبي: هذا الشاطئ يُسمَّى «القاشة»، حيث تقف جميع المراكب، وحيث تنتشر حلقات السمك.

أخيرًا وصل الأصدقاء إلى طرف القرية ... وأشار الولد إلى فيلا صغيرة مبنية بالطوب وقال: هذه هي فيلا «موسى بك» ... وهو ليس هناك الآن، ولكن هناك خفيرًا يحرس الفيلا.

شكَر الأصدقاء الولد ثم وقفوا يتشاورون فيما يجب عمله لدخول الفيلا برغم وجود الخفير، فقال «عاطف»: لماذا لا نتصل برجال الشرطة هنا، ونُبلِّغهم ما حدث ... وهم يبحثون عن «نوسة» و«زنجر»؟

تختخ: في مثل هذه القرية لا توجد نقطة للشرطة ... ولكن بعض الخفراء، وأخشى أن يعتبروا كلامنا غير جاد ... أو يعلم «موسى» بما حدث فيُسرع بنقل «نوسة» بعيدًا ...

محب: إذن ما هو الحل؟

تختخ: يجب أن نجد طريقةً لإبعاد الخفير عن الفيلا، ولو لدقائق قليلة، حتى نتمكَّن من دخولها.

عاطف: هذه مشكلة!

أخذ «تختخ» ينظر إلى الفيلا بإمعان ... كانت تقع بجوار الطاحونة، ولم يكن هناك أحد في هذه الساعة من النهار والشمس صافية، ولاحظ «تختخ» وجود كومة من القش بين الفيلا وبين الطاحونة، فخطر له خاطر مفاجئ وقال: اذهب بسرعة يا «محب» واشترِ علبة كبريت.

محب: كبريت! لماذا؟

تختخ: اذهب بسرعة ولا داعي للأسئلة الآن؟

أسرع «محب» لشراء علبة الكبريت، في حين أخذ «تختخ» يشرح فكرته للأصدقاء: سنقوم بإشعال حريق صغير في كومة القش هذه، وعندما ترتفع ألسنة النار، سنطرق باب الفيلا ونستدعي الخفير ... وسيخرج طبعًا مسرعًا ويترك الباب مفتوحًا، وبينما تشتركون معه في إطفاء النار، سأدخل أنا إلى الفيلا وأقوم بتفتيشها.

عاد «محب» بعلبة الكبريت، واقترب الأصدقاء من كومة القش، ونظروا حولهم ولم يكن هناك من يُراقبهم. أخرج «تختخ» عودًا من الكبريت أشعله ثم قرَّبه من القش الجاف فاشتعلت بعض الأعواد، وسرعان ما امتدَّت النار إلى بقية الكومة.

وفي نفَس واحد صاح الأولاد: حريق! ... حريق!

ثم أسرعوا إلى الفيلا ودقوا الباب ... فتح الخفير الباب وأطل بوجه منزعجًا فقال «عاطف»: هناك حريق خلف الفيلا ... أسرع!

وكما توقَّع «تختخ» بالضبط، أسرع الخفير خارجًا دون أن يُغلق الباب، فتسلَّل «تختخ» بسرعة إلى داخل الفيلا ... وأخذ ينادي بصوت خافت: «نوسة» ... «نوسة» ... «نوسة»! ولكن أحدًا لم يرد ... فتح «تختخ» الأبواب واحدًا وراء الآخر دون أن يجد شيئًا ...

ولكن في إحدى الغرف لاحظ كتابةً على الحائط فاقترب منها وقرأ كلمة «سنار» ... «سنار» ... «سنار».

لم يفهم «تختخ» معنًى لهذه الكلمة ... وهل المقصود بها السنار الذي يصطاد به الصيادون السمك أم شيء آخر؟ ... ولكنه غادر الفيلا بسرعة، وعندما عاد إلى الأصدقاء وجدهم يتعاونون مع الخفير على إطفاء النار، التي استطاعوا فعلًا إخمادها بإلقاء الرمال عليها.

شكَر الخفير الأصدقاء، وعاد إلى الفيلا ... بينما اجتمعوا مرةً أخرى للمناقشة.

قال «تختخ»: إنهما ليسا هنا ... ولكني وجدت كتابةً على الحائط، كلمة واحدة مكررة ... «سنار» ... «سنار» ... ولست أدري ماذا تعني هذه الكلمة ... ولكنها في الأغلب بخط «نوسة».

ردَّت «ناعسة» بسرعة: إنها اسم جزيرة مهجورة في وسط بحيرة «البرلس».

تختخ: إذن فقد نقل «موسى» «نوسة» و«زنجر» إلى هناك ... ولا بد أن نذهب لإنقاذهما!

ناعسة: إنني أعرف الطريق إليها، ولكن هذه الجزيرة تُسمَّى الجزيرة الملعونة، وكل الناس يخافون الذهاب إليها.

محب: مهما يكن فلا يمكن أن نترك «نوسة» تلقى مصيرها وحدها، خاصةً إذا اكتشفت العصابة أننا ضلَّلناها، وأرسلنا لها أبحاثًا زائفةً في الكراسة الحمراء.

رحلة إلى المجهول

عاد الأولاد إلى القارب بعد أن اشتروا بعض الطعام، ومرُّوا خلال البوغاز من البحر إلى البحيرة، وسرعان ما عاد الشراع يرتفع، ويمتلئ بالهواء، وانطلقوا في الطريق إلى «سنار».

قال «عاطف» وهو ينظر إلى المياه الهادئة حوله والسمك يفر أمام موجات القارب: لولا أننا في الطريق إلى مغامرة مخيفة، لكانت هذه رحلةً جميلةً في هذه البحيرة الكبيرة.

تختخ: فعلًا ... إن بحيرة «البرلس» هي ثاني البحيرات الكبيرة في بلادنا بعد بحيرة المنزلة، وهي تبعد عن القاهرة بمائتي كيلومتر، وتشتهر بسمك البوري والبلطي ... كما تشتهر بالفسيخ أيضًا.

ناعسة: ولها شهرة أخرى في «أم الخلول» و«الكابوريا»، كما تفد إليها أسراب البط المهاجر شتاءً، خاصةً نوع أسود يُسمَّى «الغر» وأنواع أخرى ملوَّنة تسمَّى «الشرشير» و«الحمران» وغيرهما.

كانت الساعة قد اقتربت من منتصف النهار، والشمس حامية، وليس حول الأصدقاء إلا الماء، وبعض الأشرعة البيضاء البعيدة لمراكب الصيادين، واستغرق كلٌّ منهم في خواطره.

مضت فترة طويلة دون أن يظهر للجزيرة أثر، فقال «محب» لـ «ناعسة»: إنني لا أرى أي جزر على مرمى البصر ... فأين هي هذه الجزيرة؟

بدا على «ناعسة» الاضطراب ثم قالت: لقد اقتربت منها مع خالي مرتين في رحلتَي صيد، وأذكر أنها كانت في اتجاه الغرب، أي أن تكون الشمس خلفنا باستمرار، ولكن الشمس الآن في وسط السماء، ولا أعرف إذا كنا في الطريق الصحيح أم لا.

أخذ الأصدقاء يتبادلون النظرات في ضيق؛ فقد ابتعدوا كثيرًا عن «برج البرلس» ولم يعد من الممكن أن يُفكروا في العودة للاستعانة بأحد في إرشادهم إلى «سنار» ... وفي نفس الوقت فهم بين الماء والسماء لا يعرفون طريقهم.

قال «عاطف» مقترحًا: إني أرى أن نقترب من بعض سفن الصيد، ونسألهم عن مكان الجزيرة، وليس هناك حل آخر.

وافق «تختخ» و«محب» على الفكرة، وأخذ الجميع ينظرون إلى أقرب شراع إليهم ... ثم أداروا الدفة إليه.

وصل الأصدقاء إلى مركب الصيد الكبيرة، وتبادلوا التحية مع الصيادين ثم سألوهم عن جزيرة «سنار»، فقال أحد الصيادين متسائلًا: ولكن لماذا تذهبون إلى هذه الجزيرة الغامضة ... إن أحدًا لا يسكنها ... وقلة من الناس من يذهب إليها.

تختخ: إن بعض أصدقائنا قد سبقونا إلى هناك ... ولا بد من اللحاق بهم.

وصف الصيادون الاتجاه ... ثم انطلق القارب الصغير ... وابتعدت مركب الصيد الكبيرة وبدأ الأمل يراود الأصدقاء في الوصول إلى الجزيرة في وقت مناسب لإنقاذ «نوسة» و«زنجر».

كانت الساعة قد اقتربت من الرابعة، عندما بدأ الأصدقاء يلمحون من بعيد شاطئ الجزيرة الكبيرة ... فوقفوا على حافة القارب يرقبونها في أمل، ويتمنَّون لو يطيرون إليها ليصلوا إلى «نوسة» ... وأخذ القارب يقترب شيئًا فشيئًا حتى وصلوا إلى الشاطئ.

كانت الجزيرة مستطيلة الشكل ... وقد نبتت فيها غابة ضخمة من البوص والحشائش العالية ... وأسرع الأصدقاء يغادرون القارب، ويُلقون بالخُطَّاف إلى الشاطئ لتثبيت القارب ثم قفزوا إليه، وانطلقوا وسط الغاب المرتفع يبحثون عن المكان الذي يمكن أن تكون «نوسة» و«زنجر» محبوسين فيه.

لم يلبث الأصدقاء حتى وجدوا أنفسهم في مستنقعات موحلة، امتلأت بسمك القراميط الأسود الظهر، فقالت «ناعسة» موضحة: إن القراميط تحب المياه الموحلة، وهي تأتي مع موجات المد إلى الجزيرة، فإذا انحسر الموج وجاءت فترة الجزر، تخلَّفت القراميط في مكانها، وكثيرًا ما يتمكَّن الصيادون من اصطيادها بأيدهم دون أي مجهود.

واصل الأصدقاء سيرهم داخل غابة البوص الموحشة، وكانت الحشرات الغريبة تقفز وتطير هنا وهناك وتصطدم بوجوههم، وفكَّر «عاطف» أن تخلُّف «لوزة» عن الحضور كان أفضل حل، وإلَّا لما احتملت هذا الإرهاق العنيف.

كان الأصدقاء يسيرون في بطء خوفًا من الانزلاق في المستنقعات السوداء التي تملأ الجزيرة ... وهي مستنقعات واسعة ممتلئة بالماء الراكد والطين الطري ... عميقة ومخيفة، ولكن فجأةً انزلق «محب» في مستنقع، وقبل أن يتمكَّن أحد من مساعدته كان قد انغمر

حتى وسطه في الوحل، توقَّف الأصدقاء وقد أرعبهم المنظر ... وأخذوا يُحاولون مدَّ أيديهم إلى «محب» لإخراجه، ولكن لم يكن ذلك ممكنًا؛ فقد أخذ يبتعد شيئًا فشيئًا داخل المستنقع وصرخ «عاطف»: «محب» ... «محب» ... حاول أن تعود إلى البر ...

وأسرع «عاطف» يحاول الاقتراب منه، ولكنه كاد هو الآخر أن يسقط في المستنقع لولا أن أمسكه «تختخ» في اللحظة الأخيرة.

أحسَّ «تختخ» أنه في مأزق من أقسى مآزق حياته ... فهذا «محب» أمامه يغرق في الوحل دون أن يتمكَّن من مساعدته ... صاح «تختخ»: «محب» ... لا تخف، سوف نجد وسيلةً لإخراجك ... فقط حاول أن تُبقي رأسك عاليًا. وأخذ «محب» يبحث عن شيء يتعلَّق به، أو صخرة يستند إليها أو أن يعوم ... ولكن محاولاته لم تُفلح ... فقد كان جسمه يتغمر في الوحل الطري.

تذكَّر «تختخ» المطواة التي يحملها في جيبه دائمًا، فمد يده وأخرجها، ثم أسرع إلى بوصة طويلة، وأخذ يُحاول قطعها من جذورها. كانت البوصة قويةً وسميكة، ولكن «تختخ» أخذ يضربها بالمطواة كالمجنون، في حين وقفت «ناعسة» و«عاطف» والدموع تكاد تقفز من عيونهما، وهما يريان «محب» يغوص في الوحل تدريجيًّا.

صاح «عاطف» في رعب: أسرع يا «تختخ» تعالَ ... إن «محب» كاد يختفي في المستنقع!

التفت «تختخ» إلى الخلف، فشاهد رأس «محب» ما زالت طافية، وهو يمد ذراعَيه إلى فوق مستنجدًا فكاد يُجن، وأخذ يضغط بمطواته ويضغط حتى استطاع أخيرًا أن يقطع البوصة الكبيرة، ثم حملها وأسرع إلى المستنقع ومدَّها إلى «محب» صائحًا: أمسك بهذه البوصة جيدًا وسوف نجذبك! ... أمسَك «محب» بالبوصة بكلتا يديه، وأخذ «تختخ» و«عاطف» و«ناعسة» يجذبون بكل قوتهم ... ولكن الوحل كان ثقيلًا وضاغطًا ... ولكن حياة صديقهم أمدَّتهم بقوة كبيرة، فشدَّدوا قبضاتهم وجذبوا بكل شدة، وأخذ جسم «محب» يطفو ... ولكن ذراعَيه كانتا تؤلمانه، فأخذت قبضته على البوصة تتراخى، وأمام جذب الأصدقاء الثلاثة والآلام الفظيعة التي أحسها في يديه ترك البوصة فجأة ... وسقط الأصدقاء على الأرض وتكوَّموا فوق بعضهم البعض. وعاد الموقف كما كان ... وعاد جسم «محب» يغوص في الوحل، ولكن «تختخ» أسرع بالبوصة مرةً أخرى وهو يصيح: «محب» ... إنك قوي ... وتستطيع أن تُمسك البوصة بشدة أكثر ... لا يُهمك الآلام التي تُحسها في ذراعَيك ... إن حياتك أهم ... أمسك بالبوصة بكل قواك!

أمسك «محب» بالبوصة مرةً أخرى وأغمض عينَيه، وجز على أسنانه في عزيمة والأصدقاء يجذبون البوصة ومعها «محب» ... شبرًا شبرًا ... وكلما ظهر جسمه فوق

الوحل ازدادت سرعتهم حتى استطاعوا أخيرًا أن يجذبوه ... وارتمى الجميع على الأرض تعبًا.

بعد فترة راحة طويلة خلع «محب» ملابسه الخارجية ... وأسرعت «ناعسة» تغسلها في مياه البحيرة، وحملوها معهم على عصًا حتى تُجفِّفها الشمس، ثم استأنفوا رحلتهم وقد أحسوا بالتعب ... وتسلَّل إلى نفوسهم بعض الخوف من هذه الجزيرة، خاصةً وقد بدأت الشمس تميل إلى المغيب، وأخذ الظلام يشمل الغابة والمستنقعات، دون أن يظهر أي أثر للحياة في الجزيرة، أو حتى يعرفوا أي اتجاه يسلكون.

قال «محب» وقد أحسَّ بالتعب الشديد: يبدو أننا أخطأنا عندما أتينا إلى هذه الجزيرة، ولعل العصابة هي التي خدعتنا بكلمة «سنار» لنأتي إلى هذه الجزيرة ونهلك فيها.

لم يردَّ أحد ... فقد كان الجميع يشعرون نفس الشعور. كانوا بسبب ضيق الطريق يمشون في صف يتقدَّمهم «تختخ» ثم «محب» ثم «ناعسة» ثم «عاطف».

قال «عاطف»: إلى متى سنسير بدون هدف؟

«محب»: وماذا نفعل؟ هل نتراجع؟!

تختخ: لا فائدة، إن عودتنا إلى الشاطئ سوف تستغرق وقتًا طويلًا، ثم علينا أن نقطع البحيرة مرةً أخرى ونصل إلى «برج البرلس» لنتصل برجال الشرطة في «بلطيم» أو رجال السواحل ... وفي هذه الأثناء قد تقوم العصابة بعمل إجرامي ضد «نوسة» ... ليس أمامنا إلَّا أن نتقدَّم حتى نصطدم بالعصابة وجهًا لوجه.

ليلة سوداء

أخذ الأصدقاء يسيرون في الظلام على غير هدًى، وبعد فترة قال «عاطف» وقد أحسَّ بالتعب الشديد: لن أستطيع أن أسير أكثر من هذا. إنني متعب جدًّا ... وجائع، فاتركوني وتقدَّموا أنتم.

أسرع «تختخ» إليه قائلًا: من غير المعقول أن نتركك وحيدًا في هذا المكان. إننا جميعًا متعبون، ونحتاج إلى الراحة ... فتعالَوا نقضِ الليلة هنا، ونستمر في السير صباحًا.

محب: ولكن يا «تختخ»، إذا طلع النهار قد تستطيع العصابة أن ترانا وتهاجمنا. إن فرصتنا الوحيدة أن نستتر بالظلام لعلنا نستطيع عمل شيء، وإنقاذ «نوسة».

وقف الجميع لا يدرون ماذا يفعلون، فقالت «ناعسة»: لقد تعوَّدت على الحياة في هذه الأماكن، وأنا لم أتعب بعد، وأنصحكم أن تجلسوا أنتم هنا، بينما أقوم أنا بالتجوُّل في أنحاء الجزيرة لعلني أعثر على أثر العصابة، فإذا وجدتها فسوف أعود اليكم لأخبركم بمكانها.

عاطف: وكيف تستطيعين العثور علينا في هذا الظلام، وهذه الغابة المتشابكة التي لا يعرف أحد طريقه فيها؟!

ناعسة: أشعلوا بعض النار، ولْيبقَ أحدكم مستيقظًا بعض الوقت فلن أتغيَّب طويلًا.

وافق الأصدقاء على خطة «ناعسة» التي أسرعت بالمسير، وجلس الأصدقاء الثلاثة معًا ... كانت «نوسة» في أيدي رجال العصابة و«لوزة» ليست معهم ... فجلسوا صامتين لا يعرفون ماذا حدث للفتاتَين ... وهل تعرَّضت «لوزة» لأخطار لا يعلمونها ...

وعندما جلسوا ساكتين أحسوا لأول مرة أن الغابة حافلة بالبعوض الشرس، ألوف، بل ملايين من البعوض تُحيط بهم من كل جانب وتهاجمهم بشدة ... وكانت أيديهم ترتفع وتنخفض لتضرب البعوض وتطرده بعيدًا ... ولكن البعوض كان يُحيط على كل جزء

من أجسامهم، ويلسعهم لسعات مؤلمة، فقال «محب»: إنني أُفضِّل أن أقع في أيدي رجال العصابة بدلًا من الوقوع في براثن هذا البعوض المزعج.

محب: والكارثة أن البعوض ينقل بعض الأمراض وأبرزها مرض الملاريا المخيف.

تختخ: لا داعي لهذه الأفكار السوداء، وتعالَوا نتحرَّك ونبحث عن بعض الأغصان الجافة لنشعل النار؛ إن النار والدخان سيُبعدان البعوض عنا، وفي الوقت نفسه تستطيع «ناعسة» العثور على مكاننا.

كان الثلاثة متعبين جدًّا، فقاموا متناقلين يبحثون في الظلام عن الأغصان والأعشاب الجافة، وابتعد «عاطف» عن المكان دون أن يدري، ووجد نفسه بعد دقائق وحيدًا وسط الغابة الكثيفة، وقد فقد الاتجاه، ولم يدرِ ماذا يفعل.

وضع يده في جيبه، وأخرج علبة الكبريت التي يحملها، وأشعل عودًا، ولكن النور البسيط الذي نشره عود الكبريت في مساحة ضعيفة لم يكشف شيئًا كبيرًا، فأخذ ينادي بصوت مرتفع على «تختخ» و«محب»، وكان يخشى في نفس الوقت أن يكون قريبًا من العصابة فيسمعه أحد. وانطفأ عود الكبريت، فأشعل عودًا آخر، وأخذ يتحرَّك في عدة اتجاهات، محاوِلًا العثور على صديقَيه.

كان الموقف محرجًا ومخيفًا في هذا الظلام الكثيف، وأحسَّ «عاطف» بالخوف والرهبة، فأخذ يُشعل عيدان الكبريت دون وعي … متحرِّكًا في اتجاه تصوَّر أنه يؤدي إلى مكان صديقَيه … وفجأةً على ضوء أحد العيدان شاهد منظرًا جعل الدم يجمد في عروقه … لقد رأى ثعبانًا ضخمًا تشع عيناه في الظلام … ويتحرَّك في اتجاهه في صمت … وقف «عاطف» لحظات وقد شلَّته المفاجأة … وتوقَّف عقله عن العمل … والثعبان الكبير ينساب في اتجاهه … ثم دبَّت الحياة فيه مرةً أخرى وجرى … جرى بكل ما تملكه ساقاه من قوة … جرى لإنقاذ حياته التي أحسَّ أنها في خطر حقيقي رهيب … لم يلتفت خلفه … وظل يجري ويجري … دون أن يعرف إلى أين يتجه … هل كان الثعبان خلفه … أم توقف؟! لم يكن يدري … كان كل ما يُحس به أنه يجب أن يجري دون توقُّف …

بعد دقائق طويلة من الجري أحسَّ بساقَيه تتوقفان عن الحركة … لقد أصبح في غاية التعب ولا يستطيع الحركة … ووقف متسارع الأنفاس يتساند على بوصة كبيرة، وأخذ ينظر حوله في فزع … وهو يتوقَّع أن يظهر الثعبان مرةً أخرى.

وفي هذه الأثناء كان «محب» و«تختخ» قد جمعا بعض الأغصان والأعشاب الجافة وأشعلا فيها النار …

وجلسا حولها ينتظران عودة «عاطف» و«ناعسة»، ولكن الدقائق مضت دون أن يظهر أحدهما أو كلاهما.

قال «محب»: أين ذهب «عاطف»؟ لقد غاب أكثر ممَّا ينبغي، هل نذهب للبحث عنه؟

تختخ: أين نبحث عنه؟ ... وكيف؟ إننا الآن في مركز ثابت يمكن أن يتجه إلينا، أمَّا إذا تحرَّكنا فسوف نتوه جميعًا ... فلْننتظر دقائق أخرى ثم ننادي عليه برغم أن أي صوت الآن خطر علينا.

وكان «عاطف» ما زال واقفًا في مكانه يلهث، ويتصوَّر كل حركة حوله هي حركة الثعبان المخيف ... وكان ذهنه يعمل بسرعة ... ويُفكِّر في هذه المغامرة الرهيبة التي لم يسبق أن اشترك في مثلها من قبلُ بعيدًا عن «المعادي» بمئات الكيلومترات ... وحيدًا في غابة مظلمة ترتفع فيها أصوات الصراصير والحشرات الليلية ... وتطارده الثعابين المخيفة ... وليس معه أحد من الأصدقاء يمكن أن يعتمد عليه.

وبدأت رائحة دخان تتسرَّب إلى أنفه ... فقال في نفسه: من أين يأتي هذا الدخان؟

وبدأ يتحرَّك في اتجاهه ... لعله دخان آتٍ من ناحية الأصدقاء ... أو حتى من ناحية العصابة ... المهم أن يرى أحدًا ... أن يهرب من هذا الثعبان المخيف.

أخذت رائحة الدخان تقوى شيئًا فشيئًا ... واستطاع خلال الأغصان المتشابكة أن يرى ضوءًا يتأرجح مع الهواء ... فاتجه إليه مسرعًا ... وكم كانت فرحته عندما سمع صوت صديقَيه «تختخ» و«محب» وهما يتحدثان! ... كان صوتهما في أذنيه أحلى من أي صوت موسيقى ... وأسرع إليهما ... وسمعا صوت قدمَيه فقاما مسرعَين ... وألقى «عاطف» نفسه بين ذراعي «محب» قائلًا: لا أصدق أني نجوت ... لا أصدق أني نجوت!

وجلس بجوارهما، وأخذ يقص عليهما قصة الثعبان بصوت مرتعش، قال «تختخ»: لقد عانيت وقتًا رهيبًا يا «عاطف»، ولكن هذه تجرِبة جديدة. على كل حال إن المغامرات ...

وقبل أن ينهي «تختخ» جملته سمعوا صوت حركة بين الأعشاب فوقفوا جميعًا، وأسرع «تختخ» إلى قطعة ضخمة من الأخشاب المشتعلة وحملها في يده فأضاءت حولها ... كان يستعد لاحتمال أن يظهر الثعبان فيضربه.

وفكر «تختخ» لعله ليس الثعبان ... لعله أحد أفراد العصابة، وقال بصوت هامس: استعدا ... وبدأ الصوت يرتفع ... كان واضحًا أنه صوت أقدام ... ثم سمعا في الظلام صوتًا يقول: «تختخ» «محب» «عاطف»!

وعرف في الصوت صوت «ناعسة»، فصاح «محب»: «ناعسة» ... أنت هنا!

وبعد لحظات ظهرت «ناعسة» وأقبلت عليهم متسارعة الأنفاس.

قالت «ناعسة»: من الأفضل أن نتحرَّك ... لقد سمعت وأنا أتجوَّل صوت موسيقى ... ولكنني لم أستطِع تحديد اتجاهها ... فتعالَوا معي لعلنا نتمكَّن من الوصول اليها ... إنها بالقطع تصدر من مكمن العصابة ...

قال «تختخ»: علينا أن نطفئ النار أولًا ... حتى لا يعرف أحد أننا في الجزيرة.

أخذ الأصدقاء يُطفئون النار، وبدءوا السير ... وقال «عاطف» محذرًا: لعل الثعبان يظهر مرةً أخرى ... من الأفضل أن نكون على حذر ... فقد يكون قريبًا منا.

ساروا متقاربين وهم يرهفون السمع ... وكانت كل حركة حولهم تجعلهم يقفون ويُنصتون ... ثم يستأنفون سيرهم. وفجأةً سمعوا صوتًا قويًّا يتجه ناحيتهم ... ووقفوا جميعًا صامتين ... كان الصوت يزيد شيئًا فشيئًا ... صوت حركة واضحة بين الأعشاب ... واتجهت أنظارهم إلى مصدر الصوت ... ثم قفز من الأعشاب فأر ضخم، وجاءت قفزته على ساق «محب» الذي قفز مذعورًا فوقه ... وبرغم توتُّر أعصابهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك ...

استأنفوا سيرهم بعد قليل ... محاولين الاستماع إلى الموسيقى التي تحدَّثت عنها «ناعسة»، ولكن عبثًا حاولوا ... لقد كانت الغابة صامتة.

قال «تختخ»: من الأفضل أن نتوقَّف قليلًا ... إن أفضل وقت للتحرُّك هو على ضوء القمر.

قالت «ناعسة»: إن العصابة لن تنتظرنا ... وعلينا أن نتحرَّك باستمرار. إن الصوت كان يصدر من ناحية اتجاه الريح.

ومضى الأصدقاء يسيرون ... وهم في غاية التعب ... لقد كانت ليلةً سوداء ... ومغامرةً رهيبة.

بين أنياب الأسد

مشى الأصدقاء حائرين ... ماذا يفعلون؟ وفجأةً قال «محب»: هل تسمعون؟! أظن أني سمعت صوت موسيقى.

وأرهف الأصدقاء أسماعهم ... لقد كانت هناك موسيقى فعلًا تأتي من مكان قريب.

قال «تختخ»: في الأغلب هذا راديو ترانزستور ... إن مقر العصابة قريب منا وعلينا أن نتجه ناحية هذه الموسيقى.

استأنف الأصدقاء سيرهم مرةً أخرى، وهم يُنصتون إلى الموسيقى ويتجهون إليها. وكانت الأنغام ترتفع شيئًا فشيئًا دليلًا على أنهم يسيرون في الاتجاه الصحيح ... وعندما اقتربوا تمامًا من مصدر الموسيقى قالت «ناعسة»: إنني أرى طريقًا جانبيًّا ضيقًا، وبدلًا من أن نسير جميعًا معًا، سوف أتجه أنا في هذا الطريق وعليكم أن تتفرَّقوا أنتم أيضًا، حتى لا تتمكَّن العصابة من الإيقاع بنا معًا.

وقبل أن تسمع إجابةً من أحد اختفت في الظلام. كان «محب» قد بدأ يشعر بالبرد، فأنزل البوصة التي كان يضع عليها ثيابه، وارتدى الثياب التي لم تكن قد جفَّت تمامًا بعد، ثم تقدَّم الأصدقاء في حذر من مصدر الموسيقى، ومن بين فتحة في البوصة المرتفع شاهدوا نيرانًا مشتعلةً في كومة من الحطب، وقد جلس أمامها رجل وأمامه بندقية وجهاز الراديو الترانزستور الذي كانت ترتفع منه الموسيقى ... وعلى ضوء النيران شاهد الصديقان معسكرًا كبيرًا مُشيَّدًا من البوص الغليظ.

فقال «محب» هامسًا: هذا هو مقر العصابة، ولا بد أن «نوسة» و«زنجر» محبوسان هنا الآن.

تختخ: علينا أن نفترق ونبحث عن مكانهما ... ونلتقي بعد ربع ساعة في هذا المكان على يسار النار.

في تلك الأثناء كانت «ناعسة» قد استطاعت من الطريق الجانبي أن تصل إلى معسكر العصابة أيضًا.

اقتربت «ناعسة» زاحفةً حتى استطاعت الاقتراب من النار المشتعلة، حيث انضم رجلان إلى الرجل الجالس بجوار النار وأخذوا يتحدثون ... فعرفت في أحدهم خالها الذي زعم أنه خارج في رحلة صيد.

قال أحدهم: لقد تأخَّر «موسى بك» عن الحضور، ومن المفروض أن يصل بسرعة حتى يتصرَّف في هذه الفتاة؛ فلا بد أن رجال الشرطة في «بلطيم» سيبحثون عنها، وقد يعرفون أنها هنا ... وفي استطاعتنا الفرار إذا حضر باللنش الكبير فهو سريع جدًّا.

ردَّ خال «ناعسة»: إنني أريد أجرتي عن هذه العملية حتى أستطيع مغادرة «بلطيم» نهائيًّا ...

قال الثالث: على كل حال لن يتأخَّر «موسى بك» كثيرًا، لقد ذهب إلى القاهرة لعرض الكراسة الحمراء على الزعيم، فإذا كانت هي المطلوبة فسوف نُطلق سراح الفتاة ثم نختفي جميعًا.

قال الأول: وإذا لم تكن الكراسة هي المطلوبة، فماذا ستفعل؟

الثالث: لا أدري ... هذه مسألة سيفصل فيها «موسى بك».

اكتفت «ناعسة» بما سمعت ... وأدركت أن الرجال الثلاثة سيبقون في مكانهم بجوار النار لحين عودة «موسى»، وعليها أن تتصرَّف بسرعة قبل أن يصل.

كان المعسكر مُكوَّنًا من مجموعة من الغرف المبنية بالبوص القوي ويُشبه نصف دائرة، فأخذت «ناعسة» تدور على الغرف تنظر من نوافذها المصنوعة من البوص أيضًا، ولكنها لم تستطِع أن ترى في الظلام شيئًا، فأخذت تنادي بصوت هامس: «نوسة» ... «نوسة» ... «نوسة»، وكلما مرَّت بغرفة ردَّدت النداء ... وأخيرًا سمعت من يرد عليها ... كانت «نوسة».

قالت «نوسة» وهي تتجه ناحية النافذة: من ينادي؟

ناعسة: أنا «ناعسة» هل أنت بخير؟

نوسة: إنني خائفة وجائعة ... أين الأصدقاء؟

ناعسة: إن «عاطف» و«تختخ» و«محب» يبحثون عنكما.

نوسة: إن رجال العصابة يُعلِّقون مفاتيح الأبواب بجوارها، وفي استطاعتك أن تفتحي الباب.

دارت «ناعسة» حول الغرفة واستطاعت أن تستتر بالظلام، وأخذت تتحسَّس حول الباب حتى عثرت على المفتاح، ولحسن الحظ كان صوت الموسيقى والغناء يُخفي صوت حركتها؛ فاستطاعت فتح الباب والدخول إلى «نوسة» التي احتضنتها والدموع تسيل من عينَيها بالرغم عنها وكانت ترتجف.

نوسة: هيا بنا نخرج بسرعة.

ناعسة: اخرجي أنت ... أمَّا أنا فسأبقى هنا.

نوسة: لا يمكن ... إن العصابة سوف تفتك بك.

ناعسة: لا تخافي ... إنهم لن يُفرِّقوا بيني وبينك في الظلام، خاصةً وأنا ألبس بعض ملابسك ... وعليك أن تفِري أنت والأصدقاء من الجزيرة بأسرع ما يمكن ... ولا تخافي عليَّ؛ فلن يُصيبني إلا علقة من خالي ... فأنا لست مهمةً للعصابة، وعليك إخطار الأصدقاء أن «موسى» ذهب إلى القاهرة لعرض الكراسة على الزعيم وسيعود الليلة، فلْيهربوا بسرعة.

لم تجِد «نوسة» فائدةً من الجدل ... فأسرعت تخرج من الباب ثم تغلقه خلفها حتى لا تشك العصابة في شيء ... ونظرت حولها لعلها تجد «زنجر» قريبًا، ولكنها لم تعثر له على أثر ... وخشيت أن يراها أحد، فأجَّلت البحث عنه حتى تُقابل الأصدقاء.

أسرعت «نوسة» في الظلام لا تدري أين تذهب، ولكن ملابسها البيضاء كانت واضحةً في الظلام، وهكذا استطاع «تختخ» الذي كان يدور حول الغرف أن يراها ... وقد ظنها «ناعسة» فاقترب منها في هدوء قائلًا: «ناعسة»؟ ارتبكت «نوسة» وظنته أحد رجال العصابة، وكادت تُطلق صيحة فزع لولا أن «تختخ» أسرع يضع يده على فمها، وفي هذه اللحظة عرف أنها «نوسة» فأحسَّ بفرح يغمر نفسه وقال: كيف فررت؟

ردَّت «نوسة» وهي تُمسك بيده لا تكاد تُصدِّق نفسها: لقد وضعت «ناعسة» نفسها في الحبس مكاني ... إنها فتاة شجاعة، ولم أكن أتصوَّر أنها يمكن أن تفعل هذا.

تختخ: تعالَي بسرعة ... سوف نلتقي مع بقية الأصدقاء حالًا ...

وأسرعا يشقان الظلام إلى مكان اللقاء ... وبعد لحظات انضم إليهما «محب» و«عاطف»، ولم تكد «نوسة» ترى شقيقها «محب» حتى ارتمت على صدره، واحتضنا بعضهما في شوق ومحبة، ثم سلَّمت على «عاطف» في حرارة.

قال «عاطف»: والآن ماذا نفعل؟

لم يردَّ أحد ... كان كلٌّ منهم يُفكِّر في «ناعسة» و«زنجر» هل يتركونهما لمصيرهما أم يحاولون إنقاذهما؟

أخيرًا قال «تختخ»: لا يمكن أن نترك «ناعسة» للعصابة ... ولا بد أن نُنقذها.

محب: كيف؟

تختخ: سنفتح لها الباب.

عاطف: ولكن العصابة إذا اكتشفت غيابها ... أقصد غياب «نوسة» فسوف تنطلق في أثرنا، ومن المؤكد أن هؤلاء الرجال يستطيعون إمساكنا بسرعة؛ فهم يعرفون طرق الغابة أفضل منا ... وكذلك هناك «زنجر» يجب أن نُفكر فيه أيضًا.

محب: أقترح أن نراقب العصابة لعلنا نجد طريقةً للتغلُّب عليها.

عاد الأصدقاء إلى قرب النيران مرةً أخرى، وكان الرجال الثلاثة يجلسون بجوار النار يتحدثون والبندقية أمامهم، وفي تلك اللحظة ارتفع في صمت الليل الساكن صوت موتور لنش فهمس «تختخ»: إنه «موسى بك»، لقد عاد من القاهرة، وحضر إلى الجزيرة، ولا بد أن زعيم العصابة اكتشف حقيقة الكراسة الحمراء، وستحاول العصابة إمَّا الانتقام من «ناعسة» التي سيتصورون في الظلام أنها «نوسة»، وإمَّا محاولة الحصول على الكراسة منا مرةً أخرى!

قال «محب» وهو ينظر إلى البندقية: لو كان في إمكاننا الحصول على هذه البندقية لاستطعنا السيطرة على الموقف!

تختخ: فلْنحاول البحث عن «زنجر»، ولست أدري لماذا لا أسمع صوته؟

تحرَّك «تختخ» و«عاطف» للبحث عن «زنجر»، وبقي «محب» و«نوسة» يراقبان توقُّف الموتور، وبعد دقائق ظهر «موسى» ومعه رجل آخر، وكان «موسى» يحمل بيده الكراسة الحمراء، وتقدَّم من النيران وقال في غضب: لقد ضحك علينا الأولاد، إن الكراسة ليست هي، إن الأوراق التي بها ليست لها أهمية على الإطلاق!

قال أحد الرجال: وماذا سنفعل؟

موسى: المشكلة أنني علمت أن أصدقاء الفتاة كانوا في قرية «برج البرلس»، ولا شك أنهم يبحثون عنها.

رجل آخر: ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلينا هنا؛ فهم لا يعرفون أين هي، وحتى لو عرفوا أنها في الجزيرة، فلن يستطيعوا الوصول إلينا فهم لا يعرفون الطريق.

موسى: لقد خدعونا مرة، وليس من المستبعد أن يخدعونا مرةً أخرى، فلْيذهب أحدكم ليتأكَّد من وجود الفتاة.

في تلك الأثناء كان «تختخ» و«عاطف» قد عثرا على الكلب مربوطًا في طرف المعسكر، وقد كُمِّم فمه.

لم يكد «زنجر» يشم رائحة صاحبه حتى وقف منتفضًا محاولًا الزمجرة، ولكن «تختخ» أسرع إليه يحتضنه وهو يقول: لا تنبح يا «زنجر» ... لا تنبح وإلَّا عرضتنا جميعًا للخطر. ثم فك رباطه، والكمامة التي كانت على فمه، وفهم الكلب الذكي الموقف، فاكتفى بأن يقف على قدمَيه الخلفيتَين، ويضع قدمَيه الأماميتَين على كتفَي «تختخ» وهو يُمرِّغ رأسه على رقبة «تختخ».

عاد «تختخ» و«عاطف» ومعهما «زنجر» إلى حيث كان يقف «محب» و«نوسة»، وشاهدا «موسى» وهو يطلب من أحد رجال العصابة التأكُّد من وجود الأسيرة مكانها.

عاد عضو العصابة وقال: إن الفتاة في مكانها.

أحضر أحد الرجال كرسيًّا لـ «موسى» فجلس ووقف الرجال حوله وقد اشتبكوا في مناقشة حادة وأخيرًا قال «موسى»: هاتوا الفتاة؛ فسوف نرحل حالًا من هنا ... فقد تكون الشرطة أو رجال السواحل في أثرنا.

ذهب أحد الرجال لإحضار الفتاة، ووقف الأصدقاء يرقبون الموقف في الظلام وقد توترت أعصابهم، وارتفعت دقات قلوبهم.

بعد لحظات عاد الرجل ومعه «ناعسة» التي كان الظلام يُخفي شخصيتها، ولكنها لم تكد تقترب من النيران حتى اتضح كل شيء ... فوقف «موسى» فزعًا، في حين صاح خالها في دهشة ورعب: «ناعسة»!

مطاردة في الظلام

أحاط الرجال بـ «ناعسة» وقد امتلأت نفوسهم بالدهشة والغضب، وكان أكثرهم غضبًا «موسى» الذي انفجر في الرجال صائحًا في وحشية: أين ذهبت الفتاة الأخرى؟ إنكم تتآمرون ضدي ... أين الفتاة الأخرى؟ أين؟ أين؟

لم يستطِع أحد من الرجال الإجابة، وأخذوا يتبادلون النظرات وكأنهم بدلًا من أن يروا «ناعسة» رأوا الشيطان نفسه!

تقدَّم خال «ناعسة» منها قائلًا في تهديد: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ أين الفتاة الأخرى؟

لم تردَّ «ناعسة»، بل وقفت تنظر إليهم في ثبات، وكأن الأمر لا يعنيها.

تقدَّم خال «ناعسة» منها ثم أمسك كتفها وأخذ يهزها بشدة صائحًا: انطقي وإلَّا كسرت عظامك ... أين الفتاة الأخرى؟ كيف دخلت إلى هنا؟

ظلت «ناعسة» صامتة، تنظر إلى الأمام في ثبات، بينما الرجال حولها يتصايحون، وقد فقد «موسى» أعصابه.

قال «تختخ» للأصدقاء هامسًا: ستتعرَّض «ناعسة» لعذاب شديد، ويجب أن نجد طريقةً لإنقاذها!

وكان «محب» يُمسك بالحبل الذي كان «زنجر» مربوطًا به، فأوحى له بفكرة سرعان ما قرَّر تنفيذها، فصعد بخفة النمر على إحدى البوصات القوية التي كانت تحيط بالرجال والنار، وبسرعة ربط طرف الحبل في قمتها، ثم نزل مسرعًا وقال للأصدقاء في صوت منخفض: تعالَوا نجذب الحبل بشدة، سوف تنثني البوصة كالقوس، ثم نتركها مرةً واحدة، فتهبط على الرجال والنار كالصاعقة ... وسوف تجد «ناعسة» فرصةً للهرب.

أخذ الأصدقاء يجذبون الحبل بشدة، وأخذت البوصة القوية تنثني شيئًا فشيئًا حتى كادت تُلامس الأرض ...

وفجأةً ترك الأصدقاء الحبل، فهوت البوصة كالصاعقة على الرجال والنار ... فأصابت رجلين إصابةً مباشرةً فوقعا، ثم سقطت على النار فنثرتها في كل اتجاه ... وكانت فرصةً مواتيةً فقد أطلقت «ناعسة» ساقيها جارية، وأطلق «تختخ» صفارةً نبهتها إلى مكانهم، وانطلق الجميع يجرون بأقصى سرعة ... ولكن «زنجر» لم يجرِ معهم ... لقد أحسَّ أن ثمة ثأرًا بينه وبين «موسى»؛ فانطلق في الظلام كالوحش وانقض على «موسى» يعضه ويمزق يدَيه ووجهه بأظافره ... كان «زنجر» أسود اللون فلم يكن أحد يرى منه سوى أسنانه البيضاء، فأطلق «موسى» صرخة رعب وأخذ يجري، ودبَّت الفوضى في المكان كله ... فلم يعرف أحد ماذا حدث ... في حين انطلق الأصدقاء يجرون بأقصى سرعة ... وبعد لحظات كان «زنجر» يلحق بهم في الظلام بعد أن أتم انتقامه من الذين سجنوه!

قال «تختخ» وهم يجرون بأسرع ما يستطيعون: لن نعود إلى قاربنا ... إن في إمكانهم مطاردتنا بواسطة اللنش وسوف يلحقون بنا ... ومن الأفضل أن نستولي نحن على اللنش.

ناعسة: ولكن من الذي يقوده؟

تختخ: إنني أستطيع ... فقد تمرَّنت على إدارته وقيادته عندما كنا في «أبو قير» في مغامرة سابقة.

أسرع الأصدقاء في الطريق إلى مكان اللنش، وكانوا قد حدَّدوا المكان عندما سمعوا صوت الموتور عند حضور «موسى» وقد كان الطريق قصيرًا، فلم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى كانوا أمام ميناء صغير يرقد فيه اللنش، ولكن مفاجأةً قاسيةً كانت في انتظارهم ... فقد كان هناك حارس على اللنش يحمل بندقية!

توقَّف الأصدقاء عند طرف الغابة وقد أصابهم اليأس، خاصةً وقد سمعوا من بعيد أصوات رجال العصابة الذين بدءوا مطاردتهم.

قالت «نوسة» في صوت لاهث: من الأفضل أن نجري إلى القارب.

محب: إن المسافة بعيدة إلى القارب، وهم أسرع منا في الجري، وسوف يتمكَّنون من الوصول إلينا، وحتى إذا لم يصلوا لنا على البر، فسوف يتمكَّنون من اللحاق بنا في البحيرة؛ فاللنش البخاري أسرع من القارب الشراعي، خاصةً في هذا الريح الساكن.

قال «تختخ»: لا حل إلَّا بالاستيلاء على اللنش ... وسآخذ معي «محب» ونستولي عليه.

عاطف: كيف؟! إن الرجل مسلح!

تختخ: سآخذ «زنجر» أيضًا.

وانسلَّ الثلاثة في الظلام، وقد وضع «تختخ» يده على رأس «زنجر» حتى لا ينبح، وأخذ يُحدِّثه قائلًا: والآن أيها الصديق الشجاع أمامك فرصة العمر لتنقذنا جميعًا ...

كان الكلب الذكي يسمع وكأنه يُدرك مهمَّته ... وأخذ الثلاثة يقتربون زحفًا على الأرض من أحد جانبَي اللنش.

وقال «تختخ» هامسًا: سأنزل أنا إلى الماء، وأُحدث صوتًا فيه، وسوف يلتفت الرجل إلى ناحية الصوت، فعليك أنت و«زنجر» القفز إلى اللنش والاشتباك مع الرجل، وسأحضر بسرعة للَّحاق بكم ... ولكن حذار أن تكون في مرمى البندقية. اترك «زنجر» يهجم أولًا.

انسلَّ «تختخ» في الظلام إلى الماء، وأخذ يعوم في هدوء في حين كان «محب» و«زنجر» يتسلَّلان في صمت إلى قرب اللنش.

كان الحارس يحمل بندقيةً على كتفه، ويدور فوق القارب ذهابًا وإيابًا ... فانتظر «تختخ» حتى أصبح ناحيته ثم ضرب الماء بذراعه ضربةً قوية ... التفت الرجل إلى مصدر الصوت صائحًا: من هناك؟!

اقترب «تختخ» من جانب اللنش حتى أصبح يستطيع ملامسته، ثم ضرب الماء مرةً أخرى ... انحنى الحارس على جانب اللنش وهو يُسدِّد بندقيته إلى مصدر الصوت صائحًا مرةً أخرى: من هناك؟!

في هذه اللحظة كان «محب» و«زنجر» قد أصبحا فوق اللنش، وقبل أن يتمكَّن الحارس من تسديد بندقيته إليهما، كان «زنجر» قد قفز قفزةً واحدةً فوقه وألقى بثقله عليه نابحًا في وحشية؛ فسقطت البندقية من يده في الماء، بينما الكلب القوي يُنشب أنيابه في ذراعه وصدره.

أسرع «تختخ» يصعد فوق اللنش ويُطلق صفارةً قوية، تحرَّك على أثرها «عاطف» و«نوسة» و«ناعسة» من الغابة جريًا إلى اللنش، وانقض الجميع على الرجل الذي أصابه الرعب، عدا «تختخ» الذي أسرع إلى ماكينة اللنش محاولًا إدارتها.

في تلك الأثناء كان رجال العصابة قد وصلوا إلى طرف الغابة وسمعوا أصوات الصراع الدائر على اللنش، فأطلقوا سيلًا من الرصاص شقَّ الظلام كأنه خيوط من النار، وكان «تختخ» يُحاول إدارة الماكينة ... ورجال العصابة يتقدَّمون واللحظات تمضي، والأصدقاء يقفون على جانب اللنش وقد أصابهم الخوف ... كانوا قد استطاعوا شد وثاق الحارس وأخذوا ينظرون في الظلام إلى الأشباح التي تجري في اتجاههم.

قربت المسافة بين رجال العصابة وبين اللنش، وبدأ الرصاص يُصيب جسم اللنش فصاح «محب»: انبطحوا جميعًا!

وبسرعة أطاع الأصدقاء الأمر، وانبطحوا خلف كابينة اللنش، وعندما لم يبقَ سوى أمتار بين رجال العصابة واللنش ... دارت الماكينة ... وضغط «تختخ» على البنزين بكل

قوة فانطلق اللنش كالسهم مبتعدًا ... بينما أصوات اللعنات والطلقات تتعالى من رجال العصابة الذين لم يتردَّدوا في إلقاء أنفسهم في المياه خلف اللنش في محاولة أخيرة للَّحاق به ...

ولكن «تختخ» كان قد سيطر على اللنش تمامًا واستطاع أن يمرق به مبتعدًا ... وأحسَّ الأصدقاء أنهم انتصروا فارتفعت منهم صيحات الفرح مختلطةً بنباح «زنجر» الذي أحسَّ أنه شارك في هذا الانتصار!

ظلت طلقات الرصاص تُدوي في ظلام الليل الساكن في اتجاه اللنش، ولكن شيئًا فشيئًا كان اللنش يخرج من مدى الطلقات ... وأدرك رجال العصابة أنهم قد خسروا المعركة.

انطلق اللنش في الظلام دون أن يُحدِّد «تختخ» الاتجاه الذي سيسير فيه، وكان همه أن يبتعد عن الجزيرة وعن الغابة الملعونة التي شهد فيها الأصدقاء ساعات من أحرج لحظات حياتهم.

وعلى شاطئ الجزيرة كان الرجال يقفون في ذهول وبينهم «موسى» الذي مزَّق «زنجر» ملابسه وجلده فكان يصيح كالمجنون: كيف ينتصر علينا هؤلاء الأولاد؟! سنذهب جميعًا إلى السجن ... يجب أن نفعل شيئًا!

قال أحد الرجال: إنني متأكِّد من أن بعض الرصاصات أصابت اللنش وفتحت ثقوبًا فيه، وسوف يغرق بهم ... وعلينا أن نبحث عن القارب الذي وصلوا فيه إلى الجزيرة؛ فقد نستطيع الوصول إليهم. إن الفجر قد بدأ يظهر وسوف نراهم!

لم يكد الرجال يسمعون هذا حتى أسرعوا يجرون على الشاطئ كالمجانين للبحث عن القارب.

مأزق خطير

كان ما قاله رجل العصابة صحيحًا، ففي تلك الأثناء شعر الأصدقاء ببطء في سير اللنش، وكانوا يجلسون مع «تختخ» في الكابينة فقال «عاطف»: إنني ألاحظ أن اللنش يبطئ في سيره، فماذا حدث؟ هل فرغ البنزين؟

نظر «تختخ» إلى عدَّاد البنزين ثم قال: أبدًا إن خزان الوقود ما زال عند منتصفه.

محب: إذن ماذا جرى؟

تختخ: قوموا بجولة في اللنش فقد تعثرون على سبب. انتشر الأصدقاء في اللنش وسرعان ما أدركوا الحقيقة ... فقد كانت المياه قد تسرَّبت إلى اللنش ووصلت إلى ربع ارتفاعه تقريبًا ... ولو ارتفعت أكثر فسوف يتوقَّف الموتور.

أسرع «محب» يُخطر «تختخ» بما حدث، فقال «تختخ»: ابحثوا عن صفائح أو جرادل أو أية آنية، وحاولوا نزح المياه بأسرع ما تستطيعون ... لقد اقترب الفجر ... وسوف نتبيَّن طريقنا إلى البرج ... وقد نصل.

انتشر الأصدقاء في اللنش واستطاع كلٌّ منهم الحصول على إناء لتفريغ الماء، وأخذوا يملئون الآنية ويُلقون بالمياه في البحيرة، في حين كان «زنجر» يقف عند رأس الحارس الأسير يزوم في وحشية كلما تحرَّك الأسير أية حركة.

أبطأت حركة اللنش ولكنه ظل سائرًا والأولاد يقومون بعملية نزح المياه من قاعه في حماسة ... ولكن بمُضي الوقت بدءوا يتعبون، وبدأت المياه تتغلَّب عليهم، فأسرع «محب» إلى «تختخ» يُخبره، فطلب منه «تختخ» أن يُمسك هو بعجلة القيادة، وأسرع «تختخ» يُساعد بقية الأصدقاء، وطلب منهم تقسيم أنفسهم إلى فريقَين؛ فريق يعمل والآخر يرتاح.

بدأت الشمس تبزغ في الأفق، وعلى أول ضوء استطاع الأولاد مشاهدة قرية «برج البرلس» من بعيد، وفي الوقت نفسه شاهدوا قاربهم بعيدًا متجهًا نحوهم، فأدركوا أن العصابة قد استطاعت الوصول إليهم وأنها في أثرهم!

كان «تختخ» يعمل في نزح المياه مع «عاطف» و«ناعسة»، في حين «محب» يقود اللنش و«نوسة» ترتاح و«زنجر» يرقب الأسير. وبعد فترة تبادل الأصدقاء العمل بينهم، ولكنهم برغم فترات الراحة قد تعبوا تمامًا ... وبدأ اللنش يُبطئ في سيره تدريجيًّا في حين كان القارب الذي يحمل أفراد العصابة يقترب مع ريح قوية تدفعه ... وشيئًا فشيئًا استطاع الأصدقاء أن يتبيَّنوا أفراد العصابة في القارب.

قالت «نوسة» وهي تنثني على المياه تنزحها وقد أحسَّت أن كل جزء في جسمها يرتجف من التعب: لقد استطاعوا الانتصار علينا؛ فبعد قليل سوف يصل القارب بهم ولن نستطيع الدفاع عن أنفسنا.

ردَّ «محب» الذي كان يُساعدها: لقد فعلنا كل ما بوسعنا.

نوسة: ألا نستطيع سد الثقوب، لقد كان ذلك صعبًا في الظلام، ولكن الآن قد يكون ممكنًا.

أسرع «محب» يُبلغ «تختخ» بهذا الاقتراح، فنظر «تختخ» إلى القارب الذي كان يشق الماء إليهم مسرعًا ثم قال: أعتقد أننا لن نتمكَّن؛ فلا بد من البحث أولًا عن قطع مناسبة من الخشب لسد الثقوب ... ثم البحث عن الثقوب ذاتها ... وقد تكون كثيرة، ثم كيف نتغلَّب عن ضغط المياه على جوانب اللنش؟ إنها ستكون أقوى من السدَّادات ... إن الموقف يدعو إلى اليأس حقًّا!

اقترب القارب وبدأ رجال العصابة يتصايحون، وقال واحد منهم بصوت مرتفع: من الأفضل لكم أن تستسلموا وإلَّا أطلقنا النار!

قال «عاطف» ما رأيك يا «تختخ»؟ أظن من الأفضل أن نوقف اللنش ونستسلم بدلًا من أن نموت غرقًا أو برصاص هؤلاء الأشرار.

أحسَّ «تختخ» بالحزن واليأس يسيطران عليه؛ لقد كانوا قريبين جدًّا من النجاح ولكن سوء الحظ أضاع كل شيء ... ويبدو أن العصابة أرادت إرهابهم حتى يستسلموا، فأطلق أحد الرجال بضع طلقات في الهواء.

وبدأ اللنش يُبطئ الحركة حتى كاد يقف تقريبًا، فقد غمرته المياه إلى منتصفه، في حين القارب يقترب ... ولكن في هذه اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فقد شقَّ

الصمت على البحيرة صوت موتور قوي ... والتفت الأصدقاء، فإذا بلنش كبير يشق طريقه بين الأمواج كالرصاصة ... وقد رُفع عليه علم خفر السواحل!

صاحت «نوسة»: لقد أُنقذنا!

قال «تختخ» بفرح: لقد أوقعت العصابة نفسها!

فعندما أطلقوا الرصاص سمعه رجال السواحل فاتجهوا إلى المصدر، ولولا ذلك لوقعنا!

اقترب لنش رجال السواحل مسرعًا، وبدأ الرصاص ينهال ... لا على القارب الصغير ولكن على اللنش الذي به الأصدقاء ... فقد ظن رجال السواحل أن العصابة في اللنش وليست في القارب ... وكان «تختخ» أول من تنبَّه إلى الحقيقة فأخرج منديلًا أبيض من جيبه، وربطه في قطعة من الخشب ثم صعد على الكابينة ولوَّح به للَّنش الذي كان يقترب.

استطاع رجال السواحل أن يتبيَّنوا الحقيقة، خاصةً وأن القارب استدار وحاول رجال العصابة الفرار ... ولكن لنش السواحل استطاع في ثوانٍ قليلة أن يلحق به، وفي لحظات كان قد تم القبض على أفراد العصابة.

واقترب لنش السواحل يجر القارب ورجال العصابة فيه ... وكم كانت دهشة الأصدقاء وفرحتهم عندما وجدوا «لوزة» تقف على اللنش تبتسم وتُلوِّح بيدها! ... إذن فقد كانت «لوزة» هي التي أنقذتهم!

اقترب لنش السواحل حتى التصق باللنش الذي به الأصدقاء، فقفزوا إليه ومعهم الأسير، ولم يكد آخر واحد منهم يقفز إلى اللنش الكبير، حتى كان اللنش المصاب يهوي في الماء غارقًا.

قالت «لوزة» وهي تحتضن الأصدقاء واحدًا واحدًا: عندما تأخرتم في العودة أبلغت رجال الشرطة بذهابكم إلى «برج البرلس»، وأبلغ الشرطة رجال السواحل فخرجوا للبحث عنكم، ورجوتهم أن آتي معهم فوافقوا، وقد بدأنا منذ ساعتَين تقريبًا ولكننا لم نستطِع رؤيتكم في الظلام ... ثم سمعنا صوت طلقات الرصاص فاتجهنا إلى مصدرها حيث وجدناكم.

قال «تختخ» وهو يُقبِّلها في حب: هكذا أنت، لا يمكن أن تمر مغامرة إلَّا ولك فيها عمل ممتاز!

عندما عاد الأصدقاء إلى عشتهم في «بلطيم» كانت في انتظارهم مفاجأة ... لقد عاد الدكتور «أدهم»، وأخذ الأصدقاء يروون له مغامرتهم الرهيبة من أجل إنقاذ الكراسة الحمراء ...

فقال الدكتور «أدهم» بأسلوب العلماء الذاهل: ولكن العصابة لم يكن في إمكانها أبدًا الحصول على الكراسة.

قال «تختخ» مندهشًا: كيف؟!

ردَّ «أدهم» في بساطة: لأنني أخذتها معي عند سفري!


هنــداوي